

«ليلة سقوط بغداد»:

الفانتازيا هربا من الواقع والفحولة بديلا عن القوة الحربية

يحيى القيسي *

■ ما الذي رغب المخرج والمؤلف المصري محمد أمين أن يقوله لنا في فيلمه الجديد «ليلة سقوط بغداد»؟ وكيف عالج الرجل بكتابه وإدارته لفريق العمل جرحا طريا ما يزال يتردد إلى اللحظة؟

كنت أحسب أنني ذاهب لمشاهدة فيلم وثائقي مثلا، وخطر في ذهني عمل الأمريكي مايكل مور عن أحداث 11 أيلول (سبتمبر)، وأسرار بوش والحرب على العراق، ولكني وجدته وسط فيلم كوميدي الملامح، فانتازي الصياغة، يجتهد في أن يوصل إلينا رسالة ما، ذات بعد جاد، وسط سيل أفلام الموجة التجارية في مصر، التي تجتهد في تقديم ما يرضي جمهور المراهقين أولا وأخيرا، وكسب شبكات التذاكر.. ولكن السؤال هل نجح في ذلك؟

فيلم ليلة سقوط بغداد شغل السينمائيين في مصر هذه الأيام، ورغب بعضهم بتصنيفه بأنه للكبار فقط تجنبا لثمنه، أو حذف مشاهد منه وهذا ما ساهم في الإقبال عليه، وهو الفيلم الذي مثل مصر في المسابقة الرسمية لمهرجان القاهرة السينمائي الدولي الأخير، وخرج بجائزة الجمهور والنقاد، وهو من أداء الممثلين حسن حسني، أحمد عيد، بسمة، هالة فاخر، نبيل حجازي، وغيرهم، وهذه هي التجربة الثانية للمخرج أمين بعد «فيلم ثقافي»، ومن الواضح أن الرجل اختار السير في حقل صعب، حيث المواضيع الجريئة، أما حكاية الفيلم فهي تتناول عائلة مصرية يقودها شاكر «حسن حسني» وهو مدير مدرسة ثانوية، ولديه ابنة «بسمة»، وزوجة «هالة فاخر»، والرجل واقع تحت تأثير ما شاهد من أحداث حربية أطاحت ببغداد، بيتها المنزلي، وفيما تتواصل بين الجنين والآخر الإشارات إلى الضغط على دول مثل سورية وإيران وغيرها، تبدو هواجس الرجل ذاهبة إلى أن مصر مرشحة لأن يدخلها المارينز أيضا، وتبدو صور أبو غريب المؤثرة القسوة التي قصمت ظهر طمانينته، والرجل يحاول أن يفكر بامر ما يتقد فيه مصر قبل أن يصلها الطوفان الأمريكي، وهكذا يبحث عن أبرز تلميذ كان في مدرسته ذات يوم في مجال العلم والاختراعات، وهو طارق «أحمد عيد» ويجده غارقا في التحشيش، فيلجأ إلى تبني قدراته، ودعمه عليه يصنع سلاحا قويا يتجنب به الهجوم على البلاد، ولكن الحكاية كلها لا تصمد أمام الواقع، ولهذا نأخذها على محمل التخييل أو الفانتازيا رغم أن صياغة الفيلم لم تنجح في إظهار طرق متعة لرجلنا كشاهدين في هذه الحكاية، وعموما فإن شاكر طوني، يتبنى طارق، الغارق أيضا في خيالاته الجنسية كشباب مكوث، والذي يلجأ لحلها عبر الزواج من ابنة شاكر «بسمة»، وتصل حكاية الاختراع العجيب إلى المخابرات



ملصق الفيلم

الأمريكية، التي تحاول أن تتجنى طارق، وتثنيه عن عزمه، وليست ضليعا في نقل الحكاية حتى النهاية، ولا رغبة بإفساد متعة المشاهدة التالفة على هذا العمل: الملاحظات التالية على هذا العمل: لجأ الناظر المحمس إلى شراء المخدرات ليُرود بها طارق، على نظرية أن الغاية تبرر الوسيلة، وأن القضايا العظيمة تحتاج إلى تضحيات، ولكن هل يكون ذلك بالوسائل غير الشريفة لا سيما وأنه أهلك عمره في تربية الأجيال، ثم لجأ إلى تزويج ابنته أيضا بطارق، ثمنا لاختراعه المرقب إنقاذا لصر، كذلك بدت زوجته وامه وابنته «المجتمع النسوي» عاجزان عن أداء أي دور إيجابي يذكر، وكان يقوم بمحرمين بفظاظة عند أي محاولة منه إن إبداء الرأي في مشاريعه، فهو «السيد»، أما الأجهزة المصرية فقد كانت غائبة تماما عما يجري في بيته من تدريب على السلاح، والرمادية، وغير ذلك، وفقط انتهت له السري أي آية، وعلى فرض قبولنا بأن كل ما جرى هو عبارة عن كابوس متلا بكل هذا الرجل، فهل يستمر الكابوس متلا بكل هذا التنظيم، وحتى نهاية الفيلم، وهل كل

الشخصيات إذا مخترعة بالكامل لصالح هذا الكابوس، ألا يستيقظ الواحد منا من الكابوس أحيانا؟

أما قيمة «الجس» بديلا عن الصراع الحربي أو الثقافي، فقد بدت غاية في الطرفة، والتطرف، وهل علينا أن نعود إلى رواية الطبيب صالح «موسم الهجرة إلى الشمال»، وترى مصطفى سعيد وهو يغزو الإنكليز بقولته بدلا من البحث عن طرق أخرى؟ إن ما يبدو لنا إنذرا لكرامتنا، قد يكون عند غيرنا من الثقافات والأمم متعة، وسيدو لهم وهذا فقط ما جعل عريستها العنيد ينتفض لرد شرفه الاستباح، ويقدم على «أفحام أسوارها النعجة»، وربما ينادي «يا لثارات العرب»! لم تثر إعجابي أبدا طرح مثل هذه القضايا العظيمة بمثل هذه الحلول الوضيعة، وكنت قد تورطت مؤخرا بفيلم «السفاح في العمارة»، وظهرت بعضا من الضلال العتيد، ولكنه سقط أيضا في مستنقع السخرية، وتقني ما دفع الشهداء دماهم لأجله..!

إن التوايا الحسنة لا تصنع فنا عظيما، ولا حلولا سحرية لمشاكلنا، ولا تكون مقبولة إذا ما تبنت القضايا الكبرى بطريقة ضعيفة، لقد بدأ المثلثون منساقين وراء فكرة عاطفية بناها الكاتب في خياله، ورغب في أن يطرحها كما هي بدون تشذيب، ولا إخضاع للمناقشة، ولا إلى الفن أيضا..!

لجأ المخرج إلى توظيف بعض الأغاني

المرأة، وليس عملا إنسانيا ينتمي إلى الذات المتعة، التي خلقها الله، لهذا جاء المخرج بمبملة مجسومة، بدت خريجة إحدى الكباريات، من رقصها المشافت بالبكيكي، وأقنعها بأن تلبس في دورها لباسا فخيا، المارينز الأمريكيات في أحد المشاهد الساخرة، وهذا فقط ما جعل عريستها العنيد ينتفض لرد شرفه الاستباح، ويقدم على «أفحام أسوارها النعجة»، وربما ينادي «يا لثارات العرب»! لم تثر إعجابي أبدا طرح مثل هذه القضايا العظيمة بمثل هذه الحلول الوضيعة، وكنت قد تورطت مؤخرا بفيلم «السفاح في العمارة»، وظهرت بعضا من الضلال العتيد، ولكنه سقط أيضا في مستنقع السخرية، وتقني ما دفع الشهداء دماهم لأجله..!

إن التوايا الحسنة لا تصنع فنا عظيما، ولا حلولا سحرية لمشاكلنا، ولا تكون مقبولة إذا ما تبنت القضايا الكبرى بطريقة ضعيفة، لقد بدأ المثلثون منساقين وراء فكرة عاطفية بناها الكاتب في خياله، ورغب في أن يطرحها كما هي بدون تشذيب، ولا إخضاع للمناقشة، ولا إلى الفن أيضا..!

لجأ المخرج إلى توظيف بعض الأغاني

المرأة، وليس عملا إنسانيا ينتمي إلى الذات المتعة، التي خلقها الله، لهذا جاء المخرج بمبملة مجسومة، بدت خريجة إحدى الكباريات، من رقصها المشافت بالبكيكي، وأقنعها بأن تلبس في دورها لباسا فخيا، المارينز الأمريكيات في أحد المشاهد الساخرة، وهذا فقط ما جعل عريستها العنيد ينتفض لرد شرفه الاستباح، ويقدم على «أفحام أسوارها النعجة»، وربما ينادي «يا لثارات العرب»! لم تثر إعجابي أبدا طرح مثل هذه القضايا العظيمة بمثل هذه الحلول الوضيعة، وكنت قد تورطت مؤخرا بفيلم «السفاح في العمارة»، وظهرت بعضا من الضلال العتيد، ولكنه سقط أيضا في مستنقع السخرية، وتقني ما دفع الشهداء دماهم لأجله..!

إن التوايا الحسنة لا تصنع فنا عظيما، ولا حلولا سحرية لمشاكلنا، ولا تكون مقبولة إذا ما تبنت القضايا الكبرى بطريقة ضعيفة، لقد بدأ المثلثون منساقين وراء فكرة عاطفية بناها الكاتب في خياله، ورغب في أن يطرحها كما هي بدون تشذيب، ولا إخضاع للمناقشة، ولا إلى الفن أيضا..!

لجأ المخرج إلى توظيف بعض الأغاني

بعد هروب معظم النجوم الكبار من الانضمام إليها جنجاه عبد المنعم: جمعية السندريلا تعاني من أزمة.. وأشعر بالخجل لأن أصدقاء سعاد حسني خذلوها



سعاد حسني

تعاثي حاليا جمعية أحياء السندريلا التي تأسست الشهر الماضي من مشاكل مادية طاحنة بسبب عدم إقبال الفنانين للمشاركة فيها رغم أن قيمة الاشتراك السنوي للعوض (50 جنيها فقط) اعترفت السيدة جنجاه عبد المنعم رئيس مجلس الجمعية وشقيقة الفنانة الراحلة سعاد حسني أن الجمعية بالفعل تواجه أزمات عديدة ولم تحقق طموحات كل عشاق سعاد حسني.. وقالت: «القدس العربي»: للأسف الشديد كنت أتصور أنه بمجرد إعلان الجمعية سوف يسارع النجوم والفنانون أصدقاء السندريلا بالانضمام إليها والتبرع بمبالغ رمزية من أجل استمرار الجمعية في نشاطها الفني والإنساني والخيري ولكن فوجئت بهروب كل النجوم الكبار من الحضور والمساهمة في دعم الأنشطة.

وحول المبالغ التي دخلت خزانة الجمعية من واقع الإيصالات.. قالت جنجاه: قبل إشهار الجمعية بشهور سمعت كلاما معسولا من كبار الفنانين في مصر والمنطقة العربية عن دور سعاد حسني في السينما والطرفة الكبيرة التي قدمتها خلال مشوارها وأنهم من عشاق فنائها.. وعندما حانت اللحظة هرب كل النجوم من الحضور إلى الحفل بحجج وأمية إما الانشغال بالتصوير أو بسبب رداءة الطقس. أنا شخصيا أتساءل أين زملاء سعاد وأحيائها الذين قالوا شعرا عن الجمعية قبل إنشائها وبعد التأسيس هربوا بجلدهم؟

وقالت جنجاه: إن حصاء الجمعية حتى هذه الساعة صفر.. وأشعر بالخجل لأن أصدقاء السندريلا خذلوها.. وكنت أتمنى أن يكون كبار النجوم أعضاء مؤسسين للجمعية وبخاصة في منطقة الخليج التي إنهلت منها مكالمات تليفونية عديدة ترعب بتأسيس الجمعية ورغم مرور شهر على إنشائها لم تبادر بالاتصال بنا أو مساعدتنا لنبدأ فعاليات أنشطتنا الخيرية والإنسانية.

وحول المساعدات من بعض الأعضاء المقيمين في الخارج قالت جنجاه: هناك أعضاء حضروا من الخارج خصيصا لحضور مراسم حفل الافتتاح بالقاهرة.. وهناك من أرسل برقيات التهنئة من الخارج.. أما بالنسبة للمساعدات التي يمكن أن يقدمها الأعضاء بالخارج تتمثل في تنظيم رحلات ثقافية وترفيهية لأعضاء الجمعية

عمار حسن: الحب في حياتي له معان كثيرة



عمار حسن (القدس العربي)

رام الله - شايب جرّوب

عندما نتحدث مع الفنان الفلسطيني عمار حسن، لا نشعر بمضي الوقت، وذلك لما يملكه من قلب أبيض مثل بالحب والعطاء من أجل الفن الذي ترك حبيبة قلبه من أجله، وعند سؤاله بأنه يغني لحبيبة القديمة في اليوم الآخر؟ يجيب:

■ أنا اغني لحبيبيتي القديمة والمستقبلية في نفس الوقت ولكن من هي حبيبيتي.. ليس بالضرورة أن يكون الحب بين رجل وامرأة، ربما يكون حبيبتك أركب، والدك، والدك، فالحب له معان كثيرة.. إذا لم تكن أولوية حيك لأرشد، فلن يكن لديك خير في شيء.

■ وعندما سألتاه عن ترفعه بالنجومية عندما كان طالبا في الجامعة يقول:

■ التوقع شيء والطموح شيء آخر.. لم أكن أتوقع النجومية، لكن خلال دراستي كنت أطمح لذلك.. عموماً أنا أكون الكثير من الاحترام والحين لجامعتي، ولأساتذتي في كلية الفنون، وللاصدقاء.. لو لا «النجاح» ما وصلت إلى ما وصلت إليه.. أنا فلسطيني ويسعدني أن فلسطين كلها وراء نجاحي.

■ وحول مكانة الرئيس سماعيل ياسر عرفات، له، أثناء المسابقة، بضيوف عمار:

■ بصراحة فاجتنتي مكالمته الأولى، والتي لم تكن الأخيرة بطبيعة الحال.. أنا أعتزتها

على الهواء، ولكل الناس، أن مكالمات الرئيس ياسر عرفات، قدمت لي الكثير الكثير من الدعم العنوي، فكم هو رائع أن الرئيس المحاصر والمهدد، بكل ما لديه من المشاغل والمشاكل الكثير، يمنحني من وقته دقائق ليكلمني ويشد من أزري.. قال لي: «أنت تمثل البلد.. نحن في فلسطين لا نحارب بالبارود، أو السلاح الأبيض فقط، بل بالكلمة، والأغنية أيضاً.. نحن شعب مسالم، والحرب فرضت علينا»، وهذا ما أراه أيضاً.

■ وفور علمه بوفاة الرئيس ياسر عرفات، بكى عمار وتحدث لنا أننا لأن أعتز بالرائس ياسر عرفات وأتمنى أن يكون مثواه الجنة إنشاء الله.

■ وحول اليوم الجديد «علم كبير»، قال عمار:

■ الألبوم استغرق حوالي سنة ونصف، والحمد لله الآن يحقق أعلى الإيرادات في بيروت، وقريبا ساضور كليب مع المخرج عادل سرحان أو المخرج سعيد الماروق.

■ وحول أحلامه يقول عمار حسن:

■ أحلامي كثيرة، فقد حققت أول حلم لي وهو الألبوم والأحلام التالية قائمة أنشاء الله وأهم حلم لي قد حققته هو محبة الناس لي. وعن مشاريعه المستقبلية يقول عمار هناك مشاريع كثيرة جدا منها حفلات في فلسطين وداخل حدود (48) وغيرها الكثير الكثير.

فضائيات

مستر بريزيدنت يتلقى الوحي: فيلم هوليوودي عن قتال البرابرة!

أنور القاسم*

■ عرضت محطة «آل بي سي» اللبنانية فيلما وثائقيا أمريكيا شيقا حول كيفية صناعة وتوضيب الرئيس الأمريكي وأفكاره وكواليس ساكني البيت الأبيض، كبيت أمريكي مصغر أو شركة مساهمة.

والدهش في هذا العمل أمريكا السابقين، الفضاءات اليومية لصانعي السياسة الأمريكية في قمة هرمهم وبدون توش، أو شطحات خيالية.

وأذا كان تقديس الحاكم والركوع له سمة أهل الشرق، حتى يمرر كل ما يريد من رغبات قبل السياسات ويفرض سلطانه، فإن الأمريكيتين يثبتون عبر هذا الإنتاج أن كل شيء عند أحقاد الإنكليز والأوروبيين صناعة متحولة تحميها مصالح متشابكة معقدة، تنسجها قلة ممن يسكنون خارج هذا البيت، ويسيروا هذا المكان حسب الإحشاءات، بدءاً من صناعة الرئيس إلى صناعة الأعداء، وليس انتهاء بصناعة الأخطار.

موظفو البيت الأبيض الذين كانوا أبطال هذا الفيلم بجدارة، يحاولون كل حسب توجهاته ومجال الجذب والاستقطاب المنتمي إليه، أن يقولوا التوجه السياسي للرئيس، أن كان على الصعيد الداخلي أو الخارجي، بحيث أن مدير مكتب الرئيس يتساءل مستغربا، أحقا أن هؤلاء من يدبر مصير هذه الأمة؟

ورغم مكانة الرئيس، والذي يفضل شخصيا حسب الفيلم، أن ينأى به المستر بريزيدنت، على أي لقب آخر، لضرورة الوجاهة والرهبة في آن معا، إلا أنه في واقع الحال هو آخر من يعلم بالمستور، وأن الأخبار ترشح له بعد أن تمر مجموعة مصافح، أين منها مصافي تكرير النفط العربية، ولهذا فدوره رغم الوفاق الذي يعامل به، يقتصر على التصديق على البرامج والوثائق والبروتوكولات، واستقبال الضيوف حول المفداة الفخمة وأحيانا التجلّي واستقبال الوحي، طبعاً دون تحديد مواعيد مسبقة له، لكن الرئيس الذي اعترف بأن الوحي الإلهي زاره في الليل وعضد سياساته الخارجية بقوة نسبي حسب مدير مكتبه أن يساند الرئيس بما يتعلق بالسياسات الداخلية، باعتبار أنها ربما تحتاج إلى وحي متخصص آخر مضطلع بالشؤون الداخلية، للتهوض بالقرارات الأمريكية المشلولة في مواجهة الكوارث الطبيعية بعد أن امتصت حرب العراق ضررها، وربما أظهر الفيلم، سواء عن قصد أو بدون، أن إدارة المؤسسة الحاكمة في واشنطن هي تجسيد لعمل سيميائي ضخم ترتبط مؤخرا بأفلام حول نهاية العالم والصراع بين الشرق والغرب وسباق التسلح النووي والجرثومي والكيميائي، يبدو أننا الآن أمام سيناريوهات معدة للتلفيزي تسلمهم قصصها من التوراة، حسب المسحة الإيمانية فوق قبة البيت الأبيض، وأن نزول حواء وأدم من الجنة لا بد أن يتكرر، ثم أيضا الصراع الأزلي بين قابيل وهابيل، كي يكتمل العمل ويجعل العمل الإيماني الربا المادي.

ورغم المسحة اللايقية التي ظهرت على حديث الرئيسين الأسبقين في البرنامج جيمي كارتر وبيل كلينتون، إلا أن ما كشفه البرنامج وتكشفه السينمائي الأمريكية في توازن مذهل يكشف أن الشعور العام الأمريكي ينتظر قدوم خطر ما شريف، يتجدد بصورة مستمرة، وأن هذا الشعب بحاجة لزعيم مومن في زمن الأيمان يحميهم من كارثة مجهولة. وعلى كتاب السيناريو تحديدها، وهي بلا شك تستلزم الإشارة والتشويق، ولا بأس أن كانت على شكل رجل كك الشعر عريض الشاربين اسمر البشرة غليظ القلب، فلا يكتمل مخيال المدينة إلا بالقدم من الصحراء.

زواج عرفي

■ ونقي في «آل بي سي» فقد كتبت متميزة هذا الأسبوع بجدارة، حيث استضافت في برنامج «من جرو» الممثل المصري المعروف فاروق الفيشاوي، الذي خرج مهزوما من البرنامج تاركا وراءه جلبة وجمهورا مشدوها وقتاني مكسورة، وقاموسا من الودح والشتائم.

فقد فاجأ مقدم البرنامج طوني خليفة ضيفه والجمهور في الاستوديو أيضا بأن نصب له شركا حول تورط ابنه أحمد الفيشاوي بعلاقة محرمة مع مهندسة الديكور هند الحناوي عبر الزواج العرفي، الذي شغل وما زال يشغل مصر والإعلام العربي بعد رفض عائلة الفيشاوي تبني الطفلة، التي صارت ضحية لهكذا علاقات.

المفاجأة الصاعقة هي تلك اللغة العولمية التي استخدمها الفيشاوي والمفردات المسفة، ووصفه علاقة ابنه بهذه الشابة بالعلاقة الماجنة دون زواج، وحينما فاجأ خليفة بوالد الفتاة على الهواء من القاهرة احمر الرجل وأخضر وأصفر ثم ما لبث أن ارعد وأزبد، وخرج عن اللياقة التي من المفترض أنها الحصن الأمين لغنان احتفنا في معظم أعماله بتعميل دور الرجل الصالح والمواطن النبيل، والمحب المهذب.

فقد تكلم والد الفتاة هند بآدب جم وتحدث عن أخطاء الزواج العرفي الذي ينتشر كالنار في الهشيم في الأحياء المصرية، سواء الفقيرة أو النعمة، وأثبت الرجل حدوث الزواج العرفي الذي يصر الفيشاويون على إنكاره.

وما زاد طين تلك الحلقة بلة أن والدة الفنان أحمد الفتاة سمية الألفي ساهمت في التغطية على هذه الحقيقة مما جعل هذه الفضيحة الأكثر جلجلة في تاريخ الوسط الفني المصري والعربي عامة. فمن كان يتوقع أن نشاهد عرضا لبرنامج «جيري سبرينغر» الفضائحي الأمريكي أو برنامج «ترشا» الإنكليزي في بيوتنا بلغة عربية غير مترجمة وبإبطل من الوسط الخفية؟

ولكي تكتمل فصول المسرحية الهزلية بدأ الفيشاوي بالصراخ والسب وهرب من البرنامج قبل انتهائه على طريقة خروج الكاتبة صافيناز كاطم من «الاتجاه المعاكس» ليخرج معه تاريخا فنيا جميلا استمعنا به بكل جوارحنا، ولكننا نتمنى مخلصين أن يبقي فنانا كبيرا في نظرتنا كشاهدين، فالوقوع في الخطأ ليس جريمة لكن الأصرار عليه مسألة بالطبع ليست ذنبا؟

ستوديو الفن

■ عرضت الفضائية المصرية ليلة امس حلقة فنية يبدو أنها سلسلة من برنامج «ستوديو الفن» الذي نشأ في لبنان وخرج العديد من نجوم الطرب العربي، ثم انطلقا فجأة، لينتقل إلى القاهرة.

ما بلغت الانتباه في هذه النسخة المصرية من «ستوديو الفن» طبيعتها الكلاسيكية، في وقت أخذت البرامج الغربية في صناعة النجوم تلتهم كل الأشكال التقليدية العربية، فمن «سوبر ستار» الملايين التي «ستار أكاديمي» التي غيرها من برامج الاستعراض والصور، ويبدو أنه صرخة في واد طاف بالاستعراض التلفزيوني الذي سيطر على كل من جميل احتفتنا به الإذاعات والتلفزات العربية عبر خمسين عاما من الإبداع، وفي انتظار باكورة اكتشافاته نتمنى لستوديو القاهرة الجديد أن يرفدنا بما انقطع من وصل طربي منشود.

جميلات التلفزيون

■ فرضت القنوات التلفزيونية الناجحة نمطا من المذيعات الجميلات اللاتي بات يهابهن عن أي من هذه القنوات كفيلا باتباع المشاهدين عنها. وهذا يؤكد تحول جزء كبير من الشباب والكبار أيضا نحو الفضائيات النسائية التي تقدم قدرا من الفتنة والأغراء لرجل شرقي يسعى لاسترق النظر خلف مناعة أجهزة رقابية تحرمه من أي مشاركة حرة. ولهذا فنحن أمام رحيل شرف جماعي للمشاهدين نحو الترفيه عن النفس من خلال مشاهدة الآثارة والأغراء اللذين باتا غاية ورغبة المشاهد نحو مجتمع معناه الترافض على شاشاته الشعور والأرداف والتناوير والقصص والقصص المشدودة على الصدور، التي تسر من راما ومن لم يرها.

* كاتب من أسرة «القدس العربي» anwar@alquds.co.uk

وارضيات